

قبر راحيل

La Tombe de Rachel.

على يمين الجادة السابطة من بيت المقدس (١) الى مدينة خليل الرحمن (٢) وعلى بعد تسعة كيلومترات من الاولى وبين الدور القور المستحدثة في ضاحية مدينة بيت لحم (٣) قبر السيدة راحيل زوج سيدنا يعقوب وام ابنه يوسف الصديق عليهما السلام وهو تحت قبة كانت مكشوفة الجوانب فسدت بالشيد والحجارة ولم يترك لها غير باب واحد يدخل اليها من مصلى صغير ونافتين في جانبيها . وهذه القبة وهذا المصلى يقعان على جانب مقبرة لاساعي بيت لحم التي شطرتها الجادة الى شطرين فظل القليل منها عن اليسار والكثير في اليمين وفي كليهما اشجار باسفة من الزيتون . وعلى الرغم من ان في الجانب الايسر بعض القبور وجبانة للدفن فان الارض التي تضمنتهم قد بيعت من رجل مشر اسمه ناتان ستروس من محسني اليهود لبني عليها دار ضيافة لليهود الذين يقصدون الى زيارة قبر راحيل في موسم معلوم من السنة . ذلك لان اوقاف المسلمين في كل قطر ومصر كانت ولا تزال نية الناهب وطعمة الطامع .

والغريب في امر قبر راحيل انه كان منذ الازمنة المتطاولة في القدم في

(١) بيت المقدس هي اورشليم وكان اسمها الغالب عليها في اوائل الفتوحات الاسلامية ايلياء وعاهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه اهلها وذكرها في عهده بالاسم الثاني . ثم عرفت في الدول الاسلامية بيت المقدس (كمسجد) والبيت المقدس (كمكرم) واخيرا القدس (كقفل) وهي عاصمة الجزء الجنوبي من بلاد الشام المعروف بفلسطين وترتفع عن سطح البحر ٧٩٠ مترا وعدد سكانها ٦٢٥٧٨ نسمة .

(٢) مدينة الخليل و خليل الرحمان او قرية ابراهيم هي حبرون التي ذكرت في صدر الاسلام وجاءت في كتاب الانطاء للمطى من الرسول صلى الله عليه وسلم لتعميم الداري واخوته بالاسم الاخير وهي من عمل اللواء الجنوبي في فلسطين وعدد سكانها ١٦٥٧٧ نسمة وتبعد عن بيت المقدس ٣٥ كيلومترا وترتفع عن سطح البحر ٩٢٠ مترا .

(٣) بيت لحم هي مولد سيدنا عيسى عليه السلام وترتفع عن سطح البحر ٧٨٠ مترا وتبعد عن بيت المقدس ٩ كيلومترات وعدد سكانها ٦٦٥٨ منهم ٨١٨ مسلما والباقيون نصارى .

يد المسلمين يدلنا على ذلك ما رواه غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري المتوفى سنة ٨٧٢ هـ ١٤٦٧ م من عمارة ابيه شاهين الظاهري قببة وصهريجا ومسقاة للسبيل في ذلك الضريح (١) وما ذكره الاب مايسترمان Meistermann (2) في دليله من اقامة محمد باشا (٣) والي بيت المقدس سنة ٩٦٨ هـ ١٥٦٠ م الجدران الاربعة تحت اقواس القببة المكشوفة وبنائه قبرا تحتها بدلا من الشكل الهرمي الذي كان فيها واتخاذها مزارا للمسلمين وقد ظل هذا القبر بأيدي المسلمين الى القرن الماضي فحصل السير موسى منتفوري من كبار اليهود البريطانيين على اذن من الدولة العثمانية صاحبة السلطات على الارض المقدسة اذ ذاك بتسليم مفتاح القببة لليهود على ان يبنى الى جانبها مصلى للمسلمين فينبى لهم سنة ١٢٥٧ هـ ١٨٤١ م وجعل المحراب في وسطها هذا ما يقوله الاب مايسترمان في دليله (٤).

والذي سمعته من شيوخ بيت لحم ان مفتاح قبة راحيل كان الى الايام الاخيرة في ايدي المسلمين وان قبيلة التمامرة (٥) الضاربة بجوار بيت لحم هي التي كلت قيمتها عليها الى ان اغري احد شيوخهم بالملك فسلمها لليهود لقاء دراهم معدودة وكان فيها من الزاهدين . وان المكان المعقود بجانب القببة والذي نستطيع ان نسميه مصلى قد بني في سنة ١٣٢٢ هـ ١٩٠٤ م .

ولازالة اللبس بين الروايتين يجوز لنا ان نستنتج ان القببة اعطيت لليهود باذن الحكومة ولكنهم لم يتمكنوا من القيام عليها ومحافظةها في تلك الايام بدون حام يحميهم فاستعانوا بتلك القبيلة واثمنوا شيخها على القببة والمفتاح الى ان اشتد ساعدهم وقويت شوكتهم فاخذوا المفتاح نهائيا واستقلوا بالقببة . اما بناء المكان فقد نعله بانهدام الذي بناه اليهود قبلا واعادة المسلمين له اذا صح ان الشرط الذي اشترطته الحكومة نفذ في حينه .

(١) زبدة كتف للمالك وبيان الطرق والمسالك ص ٢٤

(٢) New Guide to the Holy Land. Page 300

(٣) لعله محمد بك صاحب لواء غزة والقدس الشريف الذي ابقى اسمه على قبة للمراج من

قباب المسجد الأقصى المجاورة لقبية الصخرة بسبب بنائه محراب الاولى في سنة ٩٤٥ هـ ١٥٣٨ م

(٤) New Guide to the Holy Land. Page. 301

(٥) التمامرة قبيلة بدوية تدعي انها من بقايا القبائل التي جاءت فلسطين في الفتوحات

العربية ويبلغ عدد اقاردها نحو ستة الاف نسمة .

فأما تمكن اليهود منه زخرفوا داخل القبة واتخذوا الشهر العبري الذي يوافق شهر ايلول - سبتمبر - من كل سنة موسماً خاصاً لزيارتها واخذوا يقدون عليها في ذلك الشهر زرافات ووحداً ومشاة وركباناً يشعلون (١) حولها ويكونون يعملون وهذه صورة القبة والمصلى :



قبة راجيل والمصلى

(١) شملت اليهود مراتهم .

والظاهر ان اليهود الذين لم يكن بايديهم قبل قبته راحيل اي موضع ديني اثرى قد جعلوا منها محجا يحجون اليها تقليدا للنصارى الذين يملكون في بيت المقدس كنيسة قمامة (١) بتسمية المسلمين ، والقيامة بتسمية النصارى وكنيسة ولادة السيد المسيح عليه السلام في بيت لحم والمسلمين الذين يملكون المسجد الاقصى في بيت المقدس ومسجد ابراهيم عليه السلام في خليل الرحمن .

والأ فان قبر راحيل لم يكن معبدا لليهود ليغفوا به هذه العناية ولا شأن لهم عندهم كشأن حائط المبكى - وهو الجدار الغربي من سور المسجد الاقصى المعروف عند المسلمين بالبراق - الذي أثيرت بسببه الحفائظ وارتقت الدماء في الارض المقدسة في السنة المنصرمة .

صفحة القبر

تدخل الى القبعة من تحت قنطرة متجهة الى القبلة فتصبح القبعة عن يمينك والمضى الى عن شمالك والقبعة باب يغلقي يتجه الى الشرق فعندما تفتحها يقابلك القبر وهو يزيد ارتفاعا على المترين وقد طلي خارجه بطبقة من الرمل والشيد وليست عليها كتابة تاريخية قديمة او حديثة ولكن على جدران القبعة بعض الواح حجرية كتب عليها باللغة العبرية وهي حجارة تذكارية خلفها بعض الزوار الذين يرغبون في تدوين اسمائهم . وقد رأينا امثالها في كنيسة الارمن المجاورة لكنيسة الولادة في بيت لحم وهي باللغة الارمنية والتركية .

وعلى جدران القبعة بعض الستائر الحريرية نقش عليها بحج داود اي مثلثات يتألف منها شبه نجم وهو شارة الصهيونيين اليوم بخطوط زرق على ارض بيضاء .
ما حول القبر

الاشجار التي حول المقبرة هناك - ومنها الشجرة الظاهرة في الصورة الشمسية الى جانب القبر - هي من شجر فلسطين المبارك اي الزيتون . وعلى مقربة من القبر انقاص مسقاة ماء الى جانب صهريج تجتمع فيه مياه الشتاء . ولعل تلك المسقاة وذلك الصهريج هما اللذان ذكرهما غرس الدين الظاهري فيما تقدم من كلامه .

(١) طالع مقاتلنا عن قمامة في الجزء القادم . (لغة العرب)

وبآخر المقبرة مقلع حجارة يقتطع منها الناس ما يحتاجون اليه لبناء بيوتهم وقد علمت ان المتر الواحد يكسر في مثله (١) من هذا المقلع قد بيع بجنيه واحد مما يدل على جودة نوعه ونقاء معدنه .

مدينة بيت لحم

قبر راحيل على ما ذكر في التوراة في طريق افرايم التي هي بيت لحم وعلى قول الشريف الادريسي الجغرافي العربي هو في وسط الطريق بين بيت المقدس وبيت لحم وهو وهم لان القبر يبعد عن الاول زهاء خمسة اميال بينما هو لا يبعد عن الثانية نحو ميل واحد .

وعلى رواية السائح الهروي في الطريق من القدس الى مدينة الخليل . وعلى رأي غرس الدين الظاهري باوآخر كروم القدس .

اما على قول مجير الدين الحنبلي فهو بين بيت المقدس وبيت لحم وكل هذه الاقوال صحيحة متقاربة فان الطريق من بيت المقدس الى مدينة الخليل « جبرون » كانت وما زالت تمر بقبر راحيل ثم تتفرع بعد ذلك الى بيت لحم وبيت جالا ويتصل من الجادة الاصلية الى خليل الرحمن .

اما اليوم فقد اصبح القبر محاطا به عن ايمانه وشماله بالدور الفخمة والقصور الشاهقة لاغنياء بيت لحم واضحى جزءا من المدينة . واتنا نقل فيما يلي ما جاء في التوراة عنه ثم نردفها باقوال جغرافسي العرب ورحالتهم وكذلك اقوال الابل ما يسترمان التي نقلها عن رحالة الفرنجة .

قبر راحيل في التوراة

جاء في سفر التكوين في الاصحاح ٣٥ . ١٦ - ٢٠ من طبعة جمعية التوراة البريطانية والاجنبية :

« (١٦) ثم رحلوا » اي يعقوب عليه السلام ومن معه من بيت ايل (١) ولما

(١) نريد بذلك المتر المريم وقد اخذنا هذا الاصطلاح عن قطب الدين الحنفي مؤلف كتاب الاعلام باعلام بيت الله الحرام صفحة ٤٦

(١) لهذه القرية شان كبير في التاريخ الاسرائيلي فحي فرمها نزل ابراهيم عليه السلام مرتين وبني مذبحا واناها يعقوب بعد لرتحالته من تشكيم (نابلس) وبني بها مذبحا وبقي فيها

كانت مسافة من الارض بعد حتى ياتوا الى افراثة ولدت راحيل ونمست ولادتها (١٧) وحدث حين نمست ولادتها ان القابلة قالت لها لا تخافي لان هذا ايضا ابن لك (١٨) وكان عند خروج نفسها لانها ماتت انها دعت اسمها ابن اوني . واما ابوة فدعاه بنيامين (١٩) فماتت راحيل ودفنت في طريق افراثة التي هي بيت لحم (٢٠) فنصب يعقوب عمودا على قبرها وهو عمود قبر راحيل الى اليوم .

قبر راحيل عند جغرافي العرب

وهذه اقوال جغرافي العرب ورحالتهم عن قبر راحيل بحسب مني وفاتهم :

قال المقدسي المتوفى بعد سنة ٣٧٤ هـ ٩٨٥ م (١)

« اقليم الشام جليل الشان ديار النسيين ومركز الصالحين ومعدن البدلا . ومطلب الفضلاء . به القبلة الاولى الى ان يقول « وقبر مريم وراحيل » .

واورد الشريف الادريسي المتوفى بعد سنة ٥٤٨ هـ ١١٥٣ م (٢)

واما بيت لحم وهو الموضع الذي ولد فيه المسيح بينه وبين القديس ستم اميال وفي وسط الطريق قبر راحيل ام يوسف وام ابن يامين (٣) ولدي يعقوب عليهم السلام . وهو قبر عليه اثنا عشر حجرا وفوقه قبة معقودة بالصخر .

وذكر بهاء الدين ابن عساكر المتوفى سنة ٦٠٠ هـ ١٢٠٣ م (٤) بين قبور

ابراهيم واسحق ويعقوب ويوسف قبر راحيل وقال عن تلك القبور انها جميعا

تابوت العهد وخيمة الشهادة مدة طويلة وجعلت مركزا لعبادة الاصنام وكان فيها مدرسة

للانبياء الى غير ذلك من الامور .

وتعرف اليوم باسم (بيت ابن) ويلفظها العوام (بيتين) على نحو عشرة اميال شمالي

بيت المقدس وثلاثة اميال الى الشمال من (رام الله) وهي المصيف النزه بين بيت المقدس

ونابلس و (بيتين) اليوم قرية حقيرة قائمة على اسس قديمة وجامعها مبني على انقاض كنيسة

وفيهما بركة كبيرة وفي شرقها برج واثار كنيسة قديمة وعدد سكانها ٤٤٦ نسمة .

(١) احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم .

(٢) نزهة المشتاق في ذكر الامصار والاقطار والبلدان والجزر والمدائن والافاق طبع

رومية سنة ١٠٠١ هـ ١٥٩٢ م وهو مختصر نزهة المشتاق في اختراق الافاق للادريسي .

(٣) برند بنيامين .

(٤) الجامع المستقصى في فضل المسجد الاقصى من مخطوطات الخزانة التيمورية في القاهرة .

ظاهرة بفلسطين .

وقال السائح الهروي المتوفى سنة ٦١١ هـ ١٢١٤ م (١) . الطريق من القدس الى مدينة الخليل عليه السلام . قبر راحيل ام يوسف الصديق عليه السلام وعن يمين الطريق بيت لحم . وفي نسخة اخرى وهي اصح عبارة من الاولى (٢) :

« الطريق الى مدينة ابراهيم الخليل عليه السلام . قبر راحيل ام يوسف الصديق عن يمين الطريق والله اعلم » .

وقال ابن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٨ هـ ١٣٤٧ م (٣) : « قبر راحيل ام يوسف . عن يمين الطريق السالك من القدس الى الخليل » .

وقال سراج الدين ابن الوردي المتوفى نحو سنة ٨٥٠ هـ ١٤٤٦ م (٤) : « وبينه (اي بين الموضع الذي ولد فيه المسيح وبين بيت المقدس) ستة اميال وفي وسط الطريق قبر راحيل ام يوسف الصديق عليه السلام » .

وقال غرس الدين الظاهري المتوفى سنة ٨٧٢ هـ ١٤٦٧ م (٥) : « وبواخر كرومها (اي كروم بيت المقدس) قبر السيدة راحيل ام يوسف الصديق عليه السلام . واقام والذي المرحوم شاهين الظاهري قبة وصهريجا ومسقاة للسبيل ويمين الطريق بيت لحم » .

وقال مجير الدين الحنبلي المتوفى سنة ٩٢٧ هـ ١٥٢١ م (٦) : « وبين بيت المقدس وبيت لحم قبور راحيل والدنا سيدنا يوسف الصديق عليه السلام وهي الى جانب الطريق بين بيت لحم وبيت جالا (٧) في قبة موجهة لجهة الصخرة

(١) و (٢) الاشارات الى معرفة الزيارات من مخطوطات الخزانة التيمورية في القاهرة .

(٣) مسالك الابصار في ممالك الامصار ج ١ ص ٢١٩

(٤) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ص ٣٣

(٥) زبدة الممالك وبيان الطرق والمسالك ص ٢٤ .

(٦) الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ج ٢ ص ٤١٤ .

(٧) بيت جالا قرية كبيرة تلتحق ببيت لحم وتفصل بينهما الجادة السابلة اي خليل الرحمن « حبرون » وعدد سكانها ٣١٠١ نسمة كلهم نصارى . ولم يذكر هذه القرية ياقوت الحموي

في معجمه بل ذكرها شيخ الربوة في كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ص ٢٠٢

وهي مشهورة تزار . »

وقال القرماني المتوفى سنة ١٠١٩ هـ ١٦١٠ م (١) : وبيت لحم قرية على
فلسطين من بيت المقدس ويقرب هذه القرية قبر راحيل والدة يوسف الصديق
عليه السلام . »

وقال عبد الغني النابلسي المتوفى سنة ١١٤٣ هـ ١٧١٠ م (٢) : « فمررنا على
قبة راحيل وهي ام يوسف الصديق عليه السلام . فوقفنا عند ذلك القبر العظيم
وقابلناه بالاحلال والتكريم وقرأنا الفاتحة ودعونا الله بما تيسر لنا من الدعاء
والله بصير بسعي من سعى . »

قبر راحيل عند جغرافي الافرنجة

هذا ما اطلعنا عليه من اقوال العرب وقد نقل الاب مايسترمان في دليله (٢)
ان المؤرخين الثلاثة اوريجانس Origène و اوسابيوس Eusebius والقدسي
هيرونيمس St Jérôme قالوا بوجود قبر راحيل بجوار بيت لحم . وان
الزائر البرديلي « نسبة الى مدينة بردو بفرنسة Pilgram of Bordeaux الذي
زار هذا القبر سنة ٣٣٣ المسيحية اي قبل الهجرة المحمدية بـ ٢٨٩ عاما يصف
ذلك الاثر التذكاري المبني فوق ضريح يقع على مسافة اربعة اميال جنوبي بيت
المقدس ونحو ميلين شمالي كنيسة ولادة السيد المسيح عليه السلام الكائنة في
بيت لحم . وان ثيودوسيوس Theodosius وجد حجرا تذكريا فوقه
سنة ٥٣٠ م اي قبل الهجرة باثني وتسمين عاما . وان اركلف Arculf ذكر
ان ذلك البناء كان في سنة ٦٧٠ م ٤٨ هـ على شكل هرم وان كلا من ثيودوريك
Theodoric والرباني بنيامين التعليلي The Rabbi Benjamin of Tudela
والشريف الادريسي يقول ان ذلك الهرم كان من اثني عشر حجرا يمثل ابناء
يعقوب الاثني عشر اي اسباط بني اسرائيل . وان المؤرخين ذكروا ان
الصليبيين بنوا فوقه مربعا قائما على اربعة اعمدة كل منها يتصل بالآخر بقنطرة

(١) اخبار الدول وآثار الاول من ٤٣١ .

(٢) الحضرة الانسية في الرحلة القدسية من مخطوطات الخزنة الخالدية بيت المقدس .

(3) New Guide to the Holy Land. P. 300 - 301

ارتفاعها ٢١ قدما وعرضها ١٢ قدما وجعلوا فوق ذلك قبّة . وان الحجارة التي كان يتألف منها الهرم فقدت في القرنين الخامس عشر والسادس عشر للميلاد أي في القرنين التاسع والعاشر للهجرة .

وزاد آلاب مايسترمان على ذلك بقوله ان ذلك الضريح جدد بناؤه غير مرة . قلنا ويتضح من اقوال آلاب مايسترمان ان اول قبّة على قبر راحيل هي التي بنيت في زمن الصليبيين في حين ان غرس الدين بن شاهين الظاهري يقول ان الذي بناها هو والده كما تقدمت للاشارة اليه .

ويجوز ان تكون القبّة التي بناها هؤلاء في زمن استيلائهم على بيت المقدس وما اليه . وكن ذلك من سنة ١٠٩٩ م الى سنة ١١٨٧ م . قد هدمت فاعاد شاهين الظاهري بناؤها .

وهنا مجال لان تنبه المراجعة ووصف الادريسي فقد كان اول رحالة عربي ذكر ان قبر راحيل يتألف من اثني عشر حجرا كما اعترف له بذلك آلاب مايسترمان .

حيفا (فلسطين) تحقيق دكتور علوم رضى عبدالله مخلص

(لغة العرب : تمة معربة عن معجمة التوراة لفيثوروس ٩ : ٩٢٦)

لما بلغ يعقوب الى ديار كنعان توجه الى ممر اليملاقي فيها والده اسحاق . ولما غادر بيت ايل كان على مسافة محدودة من افراثة ولما طلقت راحيل في المنحاض سمعتها قابلتها فقالت لها انها تلد ابنا . إلا ان راحيل كانت تحتضر وسمت ابنا بن اوني (اي ابن وجعي او ابن اثني) ثم صحفها يعقوب وقال : بنيمين (اي ابن اليمين) وقضت راحيل انفاسها في مبرها بالقرب من بيت لحم فجاد يعقوب على قبرها بناية كانت تشاهد الى العهد الذي كتبت هذه الآية من سفر الخلق (١) .

اما اليوم فهو (في سنة ١٩٢٢ م) مقام مربع حسن عليه قبّة بنيت في سنة ١٦٧٩ بذيل طويل ذاهب الى الشرق بناه السر موزس منتفيوري والقبر في

(١) تم رحلوا من بيت ايل وبينما هم على نحو ميل من افراثة ولدت راحيل وعضلت بولدها فلما عسر ولادها قالت لها القابلة : لاتخافي فان هذا ايضا ابن لك . وكان قبل ان تفيض نفسها عندهموتها انها سمت « بنوني » واما والده فسماه بنيمين . وماتت راحيل وحلفت في طريق افراثة وهي بيت لحم وانصب يعقوب نصبا على قبرها وهو نصب قبر راحيل الى اليوم .

داخل المدفن . وهو بناء بهيئة منحدر مزدوج كمنارة من طين (أي في ديار
 الأفرنجية) سمكتها من ثلاثة إلى أربعة أمتار وقد غطيت بالطين والتعويض المريب
 وكلها بالستوق . والبنا حديت إلا أن في موقعها بقايا طول المقابلة ما بناء في
 نص سفر الخلق . فقد ذكر هناك أن القبر أعين في عهد موسى الكليم .
 وبعد سبعة قرون ذكره سموئيل لساؤل (السفر الملوك ١ : ١٤) والقديس
 هيب ونس ذكره مرارا عديدة ووصفها ارتكاز في المائة الثانية لابنة لايلاد وقال :
 عليا هرم ويذكر نصيا نقامه يعقوب . والأدوية التي يبرهنه وسباق البلدان
 في المسألة الثانية عشرة يقول . على هذا القبر اثنا عشر مسجدا وكلها وقوف
 ذكرى للأسباط الاثني عشر فتري من هذا ان النوازم ثابته بين الناس من يهود
 ونصارى ومسلمين ان سيج ذلك الموضع دفنت امرأتا يعقوب المسماة

مترجمت عجز الخريفة

Famille Nazhmi Zadeh

مرافق افندي المؤرخ الشهير ابن فاضل القاسبي

— ٥ —

ان العراق مزمن العباسيين والى اليوم كتب على مؤرخين في ذلك وقت وسواوا
 في كتاباتهم سوادته ووجدها بعضها يمشي في كتاب الروايات باقام به
 الاخر . ولكن نظرا للطوارى الكونية والحوادث الطبيعية التي جعلت انقطاع
 في بعض هذه الحوادث ولم يتيسر ايصالها بنا يا يمشي ولا تدرى سوادتها
 الى اليوم . ولم يتيسر ان كتب احد تاريخا مستقلا العراق قبل سوادتها الى
 ايامنا سوى مترجما مرافق افندي آل تنظيمي فهو يروي (مؤرخ العراق) .

قد كتب عن احوال العراق جماعة من رجال الاسم لاشرى التي استولت
 عليها او المجاورة لها في عصور تدهورة هذه إلا انها لم تدون من الوقائع إلا ما
 كان متعلقا بحروب بين المجاورين او ما له مناسباتها الداخلية وسلاقتها بنظامها
 فلم تذكر غير وقائع الفتح والفتن وحوادث الثورات على الحكومة . . . واعلمت